مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص692-700

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تمظهرات الأنثروبولوجية الدينية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة

–نماذج سردية مختارة–

Religiousanthropological manifestations in the contemporary Algerian feministnovel

-Selected Narrative Models-

سيلت نعيمة [1*]

[1] جامعة الجلفة– الجزائر– مخبر إستراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر

n.silet@univ-djelfa.dz

د. بن دومة كرفاوي[2]

[2] جامعة الجلفة– الجزائر–

douma.arfaoui@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/07/15 تاريخ القبول: 2020/10/26

ملخص:

إن الرواية النسوية كجنس أدبي تزخر بالأنساق الثقافية والإيديولوجية تمثيلا للواقع وتجسيد لمبدأ الكشف والبوح والتمرد.

هذا كان محور اهتمام الأنثروبولوجيا التي تشكل الثقافة الإنسانية أهم مقوماتها،والتي تعتبر الثقافة واللغة والدين مرتكزات الأنسنة، التي تظهر وتجسد مفاهيم هامشية كقضايا النوع والجنوسة ، أخرجتها للسطح بعدما كانت دهرا من الزمن قابعة في الأعماق تحت سلطة الهيمنة الذكورية .

إذ شكلت فترة مابعد الحداثة تربة خصبة لتناول الهويات والطبقية والجنوسة والدين داخل النسق الإبداعي الجمالي ، محاولة بذلك المرأة (الكاتبة) ربط الجدلية القائمة بين الفن وأنثروبولوجيا الأخلاق.

الكلمات الدالة: أنثروبولوجيا ،السرد النسوي ،الدين ، السرد المعاصر

* **المؤلف المرسل:** سيلت نعيمة، **الايميل:** n.silet@univ-djelfa.dz

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص692-700

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

Feminist as a literary race isrepletewith cultural and ideologicalcontexts, representing reality and embodying the principle of revelation, revelation, and rebellion.

This was the focus of the anthropologywhose main components are human culture, whichconsiders culture, language, and religion the anchors of humanity, whichemerge and embody marginal concepts such as gender and gender issues, whichbroughtthem to the surface afteritwas an age of time lying in the depthsunder the power of male domination.

As the postmodernperiodformed fertile soil for dealingwithidentities, class, gender, and religion within the aestheticcreative style, an attempt by thatwoman (the writer) to link the dialecticbetween art and anthropology of morality.

Key words: anthropology; feminist narration; religion; contemporary narration.

مقدمة:

إنّ الإنسان ومنذ الأزل لم ينفصل تفكيره الوجودي عن قضية الدين ، والإله ، بدءا بالأسطورة وميرفولوجيا الحكاية الشعبية وانتهاءً بتوثيق هذه الأفكار عبر الكتابة الروائية.

كل هذا محاولة منه – الإنسان– البحث في فلك القوة الغيبية التي ترسم قدراته وتتحكم في مواجهة عقبات الحياة.

ولهذا ظهرت العديد من العلوم التي تبحث في العلاقة بين الإنسان ومايعيشه من معطيات ثقافية ودينية ولغوية ، هذا ماخلق بما يسمى الأنثروبولوجيا ومايتصل بها من فروع ،كلها تجعل من الإنسان بكل حمولته الثقافية والإجتماعية محل الدراسة.

هذا ما سأتناوله في مقالي هذا المعنون بـ:(أنثروبولوجيا الدين في السردية النسوية الجزائرية المعاصرة – قراءة في بعض النماذج الروائية–).

وذلك لرصد معنى الأنثروبولوجيا وأهدافها فيما يتعلق بدراستها للإنسان ،إلى الدين كأحد أهم مكون في الدراسات الأنثروبولوجية باعتباره أساس الوجود الإنساني في المجتمعات في المجتمعات المتحضرة وصولاً إلى توظيف هذا المعطى في الرواية النسوية الجزائرية .

وكيفية تعاملها مع هذا المعطى انطلاقا من منظورها الذي شكله النسق الثقافي والإجتماعي لديها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من هنا ماذا نقصد بالأنثروبولوجيا ، وكيفية تشكل الكتابة النسوية في الجزائر؟ ومن أي زاوية وظفت الروائية معطى الدين في أعمالها السردية؟ وهل كان هذا التوظيف توفيقيا مع الرؤية السردية بالأسس العامة لمقومات الدين؟

أولاً: الأنثروبولوجيا والنسوية :(La Féminisime a l'anthropologie)

الأنثروبولوجيا مصطلح مشتق من الكلمتين (أنثروبوس والتي تعني الأنسان) و(لوغوس وتعني الدراسة) وبذلك يكون معنى الأنثروبولوجيا دراسة الأنسان أو علم الإنسان.

فتهتم بدراسة البشر ماضيهم وحاضرهم لفهم الكيان الهائل والمعقد الذي تقوم عليه الثقافات عبر التاريخ. وتُبني الأنثروبولوجيا على القضايا المشكلة للنوع ، كاللغة وتطورها لدى الإنسان ،باعتبارها أداة التواصل ،وتشكل الثقافات ،والجنس كالتمييز بين إنتاج المذكر والمؤنث ، والدين باعتباره حامل هوية الإنسان.

وهذا العلم قديم ظهر في القرن الثامن عشر ، غير أن ملامح أسسه الأولية أقدم من هذا ، ظهرت مع (هيرودوتس) والذي لقب بـ (أبي الأنثروبولوجيا) لدقته العالية في الوصف وربط العلاقات .

وبما أنّ هذا العلم يهتم بقضايا النوع والجنوسة ، اهتم بالنسوية كحركة يجب دراستها ، باعتبارها حركة استطاعت أن تكون جزءاً من المعطى الثقافي العالمي وجب مراجعته واستجوابه.

وقد ظهرت الحركة النسوية في الأنثروبولوجيا (في النصف الثاني من القرن العشرين في الغرب عبر دراسات في أنثروبولوجيا النوع والقضايا المتعلقة بها).(**سفيان ساسي ،2017 ،ص:205**).

والمقصود بالحركة النسوية (كل جهد نظري أو معرفي أو عملي يهدف إلى مراجعة ، استجواب ، نقد أو تعديل النظام السائد في البنية الإجتماعية الذي يجعل الرجل هو المركز وهو الإنسان ، والمرأة جنس ثاني/آخر في منزلة أدنى ،تفرض عليها حدود وقيود)(**محمد عصمت حوسو ، 2009،ص:47**.)

فالأنثروبولوجيا النسوية هي مجموعة من النساء حاولن ولازلن من خلال دراساتهن وخطاباتهن وكتاباتهن أن يشرحن ويحللن ظروف حياة النساء الإجتماعية.

وهذا الشرح والتحليل في كتاباتهن يحمل هم الأنوثة ومحاولةً لتجسيد مبدأ المساواة مع الآخر –الرجل– فلاطالما كانت الكتابة وسيلة المرأة إلى الخلاص،إلى المتعة ،إلى الوجود وفي هذا السياق تقول (ديهية لويزة) (الكتابة بالنسبة لي متعة قبل كل شيء، أسافر عبرها إلى كل المتاهات الممكنة في النفس البشرية وأكشف نفسي والآخرين أكثر من خلالها ، لا شيء أجمل من لحظة أتداخل فيها مع الكلمات ، وهي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تتدفق من داخلي وتتشبث بالأوراق ، إنها اللحظة التي تحررني من كل شيء ، أصل من خلالها إلى نشوة داخلية رائعة ، أشعر فقط أنها ضرورة كي أستثمر الحياة) (**بشير مفتي ، الجزائر، ديسمر 2014**).

من هذا فإن منطلق الكتابة النسوية هو منطلق تحرري لإعادة كتابة الحياة ،حياة الكاتبة ، الساردة المرأة بشكل عام.

فأنثروبولوجيا الكتابة النسوية –إن صح التعبير– تحولت من تيمة الأنثى الجسد ، والأنثى الرمز في منظور الكتابة الذكورية ، إلى ذات فاعلة منتجة للفعل السردي ،وليس موضوعا أو منظوراً للآخر – الرجل–.

فتحولت الكتابة في المنظور النسائي من هامش وموضوع الحكي إلى محور الكتابة ، إذ تحولت إلى صانعة للرمز وقارئة له في الوقت نفسه.

فالكتابة من منظورها انعتاق من ضغوط المجتمع والأعراف وضوابط الأخلاق السوسيوثقافية ،وفي هذا تقول (أحلام مستغانمي) :(...لاتبحث كثيرا ...لا يوجد شيء تحت الكلمات ، إنّ امرأة تكتب هي امرأة فوق الشبهات ...لأنها شفافة بطبعها، إن الكتابة تطهّر مما يعلق بنا منذ لحظة الولادة ابحث عن القذارة حيث لايوجد الأدب...).(**أحلام مستغانمي ، ،2001، ص:35**).

إنّ هذا التصريح يعود بنا لعملية لخلق ، إذ فعل الكتابة لديها خلق وولادة لنص نقي صاف لم يولد إلا بعصر آلام الكتابة.

فالكتابة النسائية لها منظور إعادة خلق لنص لا يحمل حمولات ثقافية مشوشة أو معتمة للواقع ، بل منظور آخر جديد لرؤيا العالم.

ثانياً: الكتابة السردية النسوية في الجزائر واختراق المألوف:

إنّ هاجس الكتابة النسوية الجزائرية هو البحث عن الذات للتعبير عنها وإبرازها ، دون مبالاة لما سيعترض طريقها ،فاتخذت :(الرواية ورشة مفتوحة على كل الأنماط والمواضيع لتغدو الرواية عملا حفريا أركولوجياديناميا لا يستقر عند حدود الجاهز ، ولا يطمئن للمألوف) .(**إبراهيم الحجري ، دط2013،ص:16**)

ولهذا ذهبت المبدعات إلى زعزعة الثابت في الوعي الذكوري وخلخلة المستقر في العرف الإجتماعي من خلال ولوجها عالم المحظور والمحرّم ، لتفجر المسكوت عنه عبر متنها الروائي مشكلة بذلك نقطة عبور من

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الجسد إلى الذات ، ومن الذات إلى العالم ، لتشكل انفتاح داخلي يحررها من الرقابة بعيدة عن مخاوف المحظورات .(**هويدا صالح ، ،2014،ص:136.**)

فالكتابة النسوية المعاصرة أصبحت أكثر تصريحا من سابقتها التقليدية التي كانت تتحفظ خوفا من الرقابة ، فتكتم انتماءاتها الإيديولوجية والدينية والعرقية ،بل أصبحت أكثر تحررا في توظيفها للمثلث الطابوهاتي (الدين ،الجنس ،السياسة) ، بل وجعلت من طابو الجنس والسياسة عاملان يتشكلان من خلال وعبر الدين.

1/– مفهوم الطابو / المحظور / المحرّم :

يدلّ لفظ (Taboo) ،(الطابو) على المقدس ، المحرّم ، المحظور ، المسكوت عنه ، سواء كان هذا المسكوت عنه سياسيا أو جنسيا أو دينيا .

والكتابة النسوية الجزائرية المعاصرة كسرت هذا الطابو ،باختراقها جسد الكتابة المحتشمة التي كانت تتغنى بالثورة والبطولة ، فكسرت جدار الكناية والاحتشام بلغة كاشفة شفافة .

فالكتابة النسوية تعد (أقدر من غيرها على تقديم ثقافة انتقادية أو مناقضة لكل طابو سائد في المجتمع).(**حسين مناصرة ، دط ،ص:47.**)

وهنا تكون الكتابة النسوية مغامرة تجعل من خرق الطابو هدفاً للكشف عن أنساق إجتماعية سائدة ، وليست باعتبارها طابوهات لها مرتكزاتها العلمية والموضوعية .

هذا ماجعل الرواية تتخذ من (الطابوهات والمحرّمات موضوعا للنقاش والتساؤل والكشف).(**إبراهيم الحجري ، دط2013،ص:17**)

فعند غختراقالطابو في الكتابة النسوية ، هو رغبة منها تطويقه لما يخدم قضاياها وليس كما كان يخدم قضايا الآخر –الرجل– ومن هنا (إنّ المرأة تعدّ الذكورة أو السلطة الذكورية التي صنع الطابو نقيضا لها ، مما يؤكد استحضار هذا الطابو في سياق التمرد عليه أو كسره لأنّه لم يراع حاجات الأنثى وتطلعاتها ، وأنه يكبل المرأة بقيود وحواجز كثيرة) .(**حسين مناصرة ، دط،ص:39.**)

وهذا ما نجده في الكثير من الأعمال السردية النسوية الجزائرية التي تحفل بالطابو وتزيل حاجز الصمت وتكسر قيود المسكوت عنه ، خاصة إذا تعلق الأمر بالجنس أو الدين ، كأعمال فضيلة الفاروق في (اكتشاف الشهوة ، أقاليم الخوف وتاء الخجل) ، وعملا زهرة مبارك (لن نبيع العمر ، زلة قلب) ،

ورواية (نورس باشا) لهاجر قويدري ، ورواية (لعاب المحبرة) لسارة حيدر ، ورواية (الممنوعة) لمليكة مقدم...إلخ.

بالإضافة إلى اعمال أخرى شكّل موضوع خرق الطابو محورا لسردها وإزالة ستار الصمت والخوف لتفجر المسكوت عنه النسائي .

2/– طابو الدين / المحرّم ، المقدس :

يعتبر الدين أحد أهم أقطاب المثلث الطابوهاتي ، باعتبار الإنسان ومنذ الأزل لم ينفصل تفكيره عن وجوده وسبب هذا الوجود ، باعتباره مكوّن مهم لهوية الإنسان.

وبما أنّ الأنثى جزء من هذا الإنسان (الرجل) ، فقد عانت الكثير إذ تظهر أنثروبولوجيةالجنوسة والنوع ذلك التمييز الطبقي والثقافي بين المذكر والمؤنث ، لاسيما أنها متهمة بخروج آدم من الجنة وهي السبب في اتكاب الرجل للخطيئة ، فقد مورست عليها كل أساليب الإلغاء والقمع والإبعاد الفكري في ظل النسق الذكوري المهيمن .

فحينما تصبح المرأة مكبوتة على أساس اللامبدأواللامقبول ، تكون مهووسة بالتمرد والثورة ، ترى في الإبداع معبراً لتغيير الواقع وكشفه ، وجعله يعج بالحرية التي طالما حرمت منها.

فتحمّل النص صوتها ليجهر بتمردا ورفضها للنمطية السائدة المغلقة بأثواب الدين والأخلاق ساخطة علو ما هو مكرس لإقصاء المرأة فكسرت كل ماهو محرم ومحظور بسهم الكلمة .

(الدين يعدّ مقدسا في الروايات ، ومن ثم لايجوز للكاتب أو المبدع أن يكسر التعاليم من خلال انتقاد الدين في ذاته ، ومن هنا تبدو المشكلة كامنة في تعليل جوهرية اتخاذ موقف من الدين بصفته ممارسة معيشية أي ضرورة عدم الخلط أي ضرورة عدم الخلط بين الدين المثالي والممارسات الدينية الخاطئة) .(**حسين مناصرة ، دط ،ص:39.**)

فالروائية الجزائرية استطاعت أن توظف هذا المعطى (الدين) ومناقشته كممارسة إجتماعية ، ولهذا عملت على (إنتاج خطاب يعمل على تغيير البنية الثقافية المشوهة المبنية على أفكار بالية وبدائية الطابع). (**عبد الرحمان تبرماسينوآخرون ،ط2012،1،ص:14**).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن الممارسات الدينية المشوهة في المجتمع الجزائري ، قرار تزويج الفتاة ذلك القرار الذي يتم وفق السلطة الأبوية دون الرجوع إليها ،باعتبار أنّ الوصاية والقوامة للذكور داخل النظام البطريكي (الجد ، الأب ،العم ،الأخ) وهذا ماتعبر عنه فضيلة الفاروق قائلة (بقرار عائلي بال) .(**حسين مناصرة ،ص:53.**)

هنا تشير الروائية لممارسات دينية تنحاز للذكورة (الرجال قوامون على النساء).

ومن الممارسات التي تقر بخرق طابو الدين ماجسدته الروائية في هذا المقطع السردي (-يزمجر في وجهي ...

-أنت مرتي...

-أجيبه وأنا مصدومة ...ولكن نحن في رمضان ، وأنا صائمة...

-يعلو صراخي ،ويزداد عويلي ، وأنا أستنجد بوالدي:

- يابا...ياأمّا....

-يزداد صراخي

-سأضاجعك ...ياوحد الرخيصة.

-يبصق عليّ.).(**فضيلة الفاروق، 2005،ص:65.**)

هنا تشير الساردة إلى الممارسات التي تقع تحت دائرة الزواج الذي هو حكم شرعي ،غير أنه من منظور الممارسة الفعلية يعكس سطوة الرجل (الزوج) على المرأة باعتبارها ملكية للمتعة ، كما أنها تبرز جهل(الزوج) بتعاليم الدين وممارستها كنوع من المتعة.

فالمرأة من المنظور الإجتماعي ما هي إلاّ ضامن للمتعة والنسل في إطار شرعي (مؤسسة الزواج) (وصلاحها الذي يتعدى ضمان النسل والإستمتاع المركز حول ذاتها لكونها سجينة الأفكار السائدة) .(**خديجة صبار ، دط،1999،ص:62.**)

كما أن الروائية رسمت تلك التجاوزات تحت غطاء ديني ، في مشهد آخر في رواياتها (تاء الخجل) :

(سنة العار ...سنة 1994م التي شهدت إغتيال 151 امرأة ، واختطاف 12 امرأة من الوسط الريفي المعدم ، ثم ابتداء من عام 1955م ، أصبح الخطف والإغتصابإستراتيجية حربية إذ أعلنت الجماعات الإسلامية المسلحة ...أنها قد وسعت دائرة معركتها للانتصار للشرف بقتل نسائهم ...).(**فضيلة الفاروق،ط2003،1ص:36**)

ففي هذا المقطع السردي تصف لنا الروائية أن الجماعات الإسلامية المحتمية بغطاء الدين ليست سوى جماعات إرهابية اتخذت من القتل والإغتصاب وسيلة حربية وكانت الضحية الأولى والمستهدفة فيها هي الأنثى.

كما نجد عملا سرديا آخر يرسم تكريس مبدأ الدين (حسب رأي الأشخاص المتطرفين) ، حينما تسرد لنا الروائية (مليكة مقدم) في روايتها (الممنوعة) ، لحاكم القرية والذي حسب رأيها ممن ساهموا في تأزيم وضع المرأة الجزائرية وتهميشها ،ويتمثل هذا الأمر في شخسية (بكار) حاكم القرية وإمام مسجدها ، وهو أمير من أمراء "الفيس" ، وقد وافق على عمل البطلة (مليكة) الطبيبة لأنه بحاجة إليها ، رغم معارضته الشديدة لعمل النساء وخروجهن :(أنت محظوظة لأنني بحاجة إليك وإلا لبعثت لك الدرك ...فترد سلطانة بنظرة تعال ..يكفي بتهديداتك . أخرج من هنا).(**مليكة مقدم ، ط2008،1،ص:36.**)

فتصبح البطلة هنا رمزا للتمرد على المرجع الديني الذي يمثله حاكم القرية ، وتنقل هذاالتمرد حتى لعقر داره ، حيث تقول احدى نسائه : (واش حبيت ديرلها لسلطانة مجاهد ؟ ...تشربلها المرار كيما يماها المسكينة ؟ هي ماتقدرلهاش سلطانة امرأة حرة متعلمة ، وهذا إلي ردك مكلوب ؟ رغم الحقرةكاين جزائريات فحلات هاهياه ، هذا يدوخك).(**مليكة مقدم ،ط2008،1،ص:52.**)

ففي هاته الرواية تكشف الكاتبة (مليكة مقدم) القناع عن الممارسات السوسيودينية التي مارسها مدعي التدين ومطبقي الدين حسب أهوائهم.

خاتمة:

بقيت السردية النسوية بشكل عام والجزائرية بشكل خاص ، حبيسة الهامش في ظل نسق ثقافي ذكوري مهيمن.

غير أن الأنثروبولوجيا من خلال دراستها لقضايا النوع والجندر ، استطاعت أن تظهر هاته الكتابات المهمشة ، وتسلط عليها الضوء من حيث طريقة رؤيتها للعالم، وطريقة كشفها للمسكوت عنه أو المحظور في ظل الممارسات المجتمعية القائمة على إلغاء وإقصاء الآخر (المرأة).

حيث أصبحت الروائية الكاتبة تطرق قضايا الهوية المرتبطة أساسا بالدين والعرق والطبقية والهوية داخل نص فني تتعالا فيه الهويات محاولة إيجاد توافق بين جدلية الرؤية الفنية الجمالية و أنثروبولوجيا الأخلاق .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن خلال ماسبق ، نستخلص إلى أن خرق طابو الدين في العمل الروائي النسوي في السياق الإجتماعي الجزائري ، كان تمثلا للنموذج الديني بصورته التقليدية وفق أنساق إجتماعية سائدة .

فاستعمال الكاتبة الجزائرية للدين كان تمثلاً أنثروبولوجيا وسيكولوجيا وسوسيولوجيا ، وليس حظورا لاهوتيا ميتافيزيقيا.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - أحلام مستغانمي ،(ذاكرة الجسد)،منشورات أحلام مستغانمي ، بيروت ،ط17،2001.

2 - إبراهيم الحجري ،(المتخيل الروائي ،الجسد ،الهوية والآخر)، محاكاة للدراسات والنشر والتزيع ، دمشق،دط2013.

3 - بشير مفتي ،(روائيات ينحزن إلى الكتابة أولا ...والأنثى ثانيا)،جريدة الحياة ، الجزائر، ديسمر 2014.

4 - حسين مناصرة ،(مقاربات في السرد)،عالم الكتب الحديث ،دط،الاردن.

5 - خديجة صبار ،(المرأة بين الميثولوجيا والحداثة) ،إفريقيا الشرق ،بيروت ،لبنان،دط،1999.

6 - سفيان ساسي،(الأنثروبولوجيا الثقافية والإنتاج المعرفي العربي)، مجلة التغيير الإجتماعي ، العدد الثالث ،2017،جامعة بسكرة ، الجزائر.

7 - عبد الرحمان تبرماسينوآخرون ،(السرد وهاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق ،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،2012.

8 - مليكة مقدم ،(الممنوعة)،ترجمة محمد ساري،منشوراتالإختلاف ،ط1،2008.

9 - فضيلة الفاروق،(اكتساف الشهوة)، رياض الريس للكتب ،دط،2005.

10 فضيلة الفاروق،(تاء الخجل)،رياض الريس للكتب والنشر،ط1،2003.

11 محمد عصمت حوسو ،(الجندر الأبعاد الإجتماعية والثقافية) دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ،دط،2009.

12 حويدا صالح،(نقد الخطاب المفارق، السرد النسوي بين النظرية والتطبيق)،روية للنشر والتوزيع،دط،2014.